بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة موسوعية منقحة بعنوان:

أيها الإنسان: أنت عند اللهِ غالٍ (١)

من مظاهر تكريم اللّه للإنسانِ ورَفْع منزِلتِه بين الخلائق

للمفكر والداعية الإسلامي

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٠ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ/ ٢٢نوفمبر ٢٠٢٤م

الحمدُ لله الذي كرَّم الإنسان وفضَّله على كثيرٍ من مخلوقاته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة المؤمنون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تَعَالَى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ) (النساء: ١٣١). أما بعد،،

عباد الله: منذ اللحظة الأولى لخلق سيدنا آدم، وقد أظهر الله (عَزَّ وجَلَّ) مكانَة الإنسان وفضلَه على سائر المخلوقات، قال تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...) (البقرة: ٣٠)، وعندما أمر اللهُ (تَعَالَى) الملائكةَ بالسجود لآدم، كان ذلك دلالة على عِظَمِ قَدْرِ الإنسان عند الله، قال تَعَالَى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) (البقرة: ٣٤).

ومكانة الإنسان عند ربه (سبحانه وتَعَالَى) لا تُقاس بماله أو نسبه أو جاهه، وإنما تُقاس بطاعته وتقواه: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) (الحجرات: ١٣)، ويقول النبي (ﷺ): (يا أيُّها النَّاسُ، ألَا إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، ألَا لا فَضْلَ لِعَربيٍّ على أعجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ إلَّا بالتَّقْوى)(٢).

---

(١) هذه الخطبة كُتبت بشكل تجديدي وإثرائي؛ للإسهام في زيادة وعي السادة العلماء والخطباء واطلاعهم على الجديد في الموضوع، من خلال عدد من العلوم الحديثة والمتخصصة، جنبا إلى جنب مع الفكر الإسلامي المستنير، في محاولة للاقتراب من المشكلات الحياتية والإسهام في تقديم الحلول الناجعة لها، في إطار تحقيق أهداف خطبة الجمعة التي حددتها وزارة الأوقاف. وللسادة الأئمة والدعاة الاطلاع عليها ودراستها، واختيار ما يناسبهم منها... والله تعالى ولي التوفيق.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وأبو نعيم في حلية الأولياء – رجاله ثقات، وإسناده صحيح.

وكانت تطبيقات النبي العظيم (ﷺ) تجسيدًا حيًّا لأقواله وتوجيهاته ومنهاجه، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ –أي تنظفه–، فَفَقَدَهَا رَسولُ اللهِ (ﷺ)، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقالوا: مَاتَت، قالَ: (أَفلا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي) –أي أخبرتموني بموتها حتى أصلي عليها–، قالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، فَقالَ النبي (ﷺ): (دُلُّونِي علَى قَبْرِها) فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قالَ: (إنَّ هذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً علَى أَهْلِهَا، وإنَّ اللَّهَ –عَزَّ وجَلَّ– يُنَوِّرُهَا لهمْ بصَلَاتِي عليهم) (٣).

وهذا يدل على عظيم قدر الإنسان عند الله، مهما كان وضعه الاجتماعي أو لونه أو مكانته، وهنا نتعلم من النبي (ﷺ):

- احترام خلق الله
- والتواضع لهم ومعهم
- وتفقد أحوال الناس والسؤال الدائم عنهم مهما كان وضعهم
- وجبر خواطرهم (قولا، وفعلا، ومنهاج حياة).
- وعدم الانتقاص من قَدْر أي إنسان مهما كان.

المحور الأول: قصة (أنت عند الله غال) ومقاصدها التربوية

وردت هذه العبارة في حديث نبوي شريف، يدل دلالة واضحة على أن النَّبيَّ (ﷺ)، كان وَدودًا ولَطيفًا، يُداعِبُ أصحابَهُ، ويُلاطِفُهم، ويُمازِحُهم، ويَضْحَكُ معَهم، ولا يَقولُ إلَّا صِدْقًا.

فعن أنسِ بن مالك (رضي الله عنه) «أنَّ رَجُلًا من أهلِ البادِيةِ كان اسمُه زاهِرًا –وهُوَ زاهِرُ بنُ حَرامٍ الأَشْجَعيُّ– وكان يُهدي للنَّبيِّ (ﷺ) الهَدِيَّةَ مِنَ البادِيةِ، فيُجَهِّزُه رَسولُ اللهِ (ﷺ) إذا أراد أن يَخرُجَ.

فقال النَّبيُّ (ﷺ): (إنَّ زاهِرًا بادِيَتُنا، ونحن حاضِرَتُه).

وكان النَّبيُّ (ﷺ) يحبُّه، وكان رجُلًا دميمًا.

فأتاه النَّبيُّ (ﷺ) وهو يبيعُ مَتاعَه، فاحتَضَنه مِن خَلْفِه، ولا يُبصِرُه الرَّجُلُ، فقال: أرسِلْني، مَن هذا؟–يعني مَن أنت؟.

فعرف –زاهر أنه– النَّبيَّ (ﷺ)، فجعل لا يألُو ما ألصَقَ ظَهْرَه ببَطْنِ النَّبيِّ (ﷺ) حينَ عَرَفَه!.

وجعل النَّبيُّ (ﷺ) يقولُ: (مَن يشتري العَبْدَ؟).

فقال الرَّجُل: يا رَسولَ اللهِ، إذًا تَجِدُني واللهِ كاسِدًا! فقال النَّبيُّ (ﷺ): (لكِنَّك عندَ اللهِ لَسْتَ بكاسِدٍ، وقال: عندَ اللهِ أنت غالٍ!) (٤).

في هذا الحديثِ الشريف يَحكي الصحابي الجليل أنسُ بنُ مالكٍ (رضِيَ اللهُ عنه): أنَّ رَجُلًا من أهْلِ البادِيَةِ اسْمُهُ زاهِرُ بنُ حَرامٍ الأَشْجَعيُّ، وهو ممن شَهِدَ بَدْرًا مع سيدنا رسول الله، وكان هذا الرجل يُهْدِي لِلنَّبيِّ (ﷺ) مِمَّا يُوجَدُ في البادية منَ: الأَزْهارِ، والأَثْمارِ، والنَّباتِ، وغيرها من أمْتِعَةِ البادِيَةِ.

وكان النَّبيُّ (ﷺ) يُحبه، وقال في شأنه: (زاهِرُ بادِيَتُنا)، أي: هو سَاكِنُ بَادِيَتِنَا، وقيل مَعْناهُ: صَديقُنا مِنَ البادِيَةِ. (ونحنُ حاضِرَتُهُ)، أي: أَهْلُ بَيتِ النُّبوَّةِ أو الجَمْعُ لِلتَّعْظيمِ. وفيه كَمالُ الاعتِناءِ به، والاهتِمامِ بِشأْنِه، وقيل مَعْناهُ: ونحنُ أَصْدِقاؤُهُ مِنَ الحَضَرِ. فكأنَّا بَلَدٌ له.

وكان النَّبيّ (ﷺ) يُجهِّزُهُ إذا أرادَ الرجوع إلى البادِيَةِ، فيُعِدّ له ما يَحْتاجُ إليه في البادِيَةِ من أمْتِعَةِ البُلْدانِ من المدينةِ.

وكان زَاهِرٌ (رضي الله عنه) دَميمَ الخِلْقَةِ"، فأتاهُ النَّبيُّ (ﷺ)، يومًا وهو يَبيعُ شيئًا له في السوقِ، فاحْتَضَنَهُ وأحاطَ به وأَمْسَكَ زاهِرًا من ظَهْرِهِ، مُداعِبًا له ومازِحًا معه، جبرًا لخاطره.

---

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والبخاري باختلاف يسير.

(٤) أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية، وإسناد رجاله كلهم ثقات على شرط الصحيحين، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة.

فقال له زاهِرٌ: مَن أنت؟

أَرْسِلْنِي، أي: اتْرُكْنِي، "والْتَفَتَ"، زاهر بِبَعْضِ بَصَرِهِ، فرأى أنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) هو الذي يمازحه، ويا له من موقف جميل؟!.

وهنا يُكمل النَّبِيُّ الكريم، مزحَه الجميل، فيقول: مَنْ يَشْتَرِي مِنِي هذا العَبْدَ؟، أي: مَنْ يَشْتَرِي مِثْلَ هذا العَبْدِ مِنِّي، ولا يَلْزَمُ من هذا القَوْلِ –لاسِيَّما وَالْمَقامُ مَقامُ المُزَاحِ– إرادَةُ تَحَقُّقِ بَيْعِهِ.

وزاهر يُلْصِقُ ظَهْرَهُ بصَدْرِ النَّبِيِّ (ﷺ)، تَبَرُّكًا، وَتَدَلُّلًا على مَحْبُوبِهِ، ويقولُ: إذًا تَجِدُنِي كاسِدًا"، أي: إنْ عَرَضْتَنِي للبَيْعِ فستَجِدُنِي مَتاعًا رَخِيصًا غَيْرَ مَرْغُوبٍ فِيهِ.

وهنا ينطَق النبيُّ الحكيم بالحق المبين الذي يجبر الخاطر، ويزيل من النفس مرارة الدمامة وآلامها، قائلا: (لكِنَّك عندَ اللهِ لَسْتَ بكاسِدٍ، وقال: عندَ اللهِ أنت غالٍ!) أي: بإيمانِكَ وفضلك وتقواك.

وفي الحديثِ:

- مَنْقَبةُ زاهِرِ بنِ حَرامٍ (رضِيَ اللهُ عنه) وفَضْلُه.
- وأنَّ المُؤْمِنَ قِيمَتُه غالِيَةٌ عندَ اللهِ.
- وتَواضُعُ النبيِّ (ﷺ) وحُسنُ عِشرتِه لأصحابِه [٥] وجبره لخواطرهم.

وإذا كانت هذه العبارة وردت في شأن الصحابي الجليل زاهِرِ بنِ حَرامٍ (رضِيَ اللهُ عنه)، فإنها تنسحب على كل شخص يعمل بمقتضى الإيمان؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ ذلك لأنه إذا كان السبب خاصًّا وجاء النص بصيغة العموم فقد قرر جمهور العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

مقاصد تربوية:

والحديث الشريف يحمل جملة من المعاني والمقاصد التربوية المهمة، منها:

- الاقتداء بسيدنا النبي (ﷺ) في العناية بالضعفاء، والغرباء، وذوي العاهات والحاجات.
- العناية بأصحاب الفضل في شتى المجالات.
- نتعلمُ منه (ﷺ) الترويحَ المنضبط، والحبَّ والاحترامَ، وإذا مازحنَا بعضَ النَّاسِ جبرًا لخواطرهم ومراعاة لظروفهم، أن نمازحهم بمنتهى الأدب، ولا نقول إلا خيرًا.
- وأن نعطي أكثر مما نأخذ.
- وأن نتبادل الهدايا والتحايا.
- وأن نحرص على أن يكون جبرَ الخاطرِ منهاجًا لحياتنا.
- وأن نلوذ بأهل الله (تَعَالَى)، والضعفاء على الدوام ونتبرك بمجالستهم، والتشرف بقضاء حوائجهم، يقول النبي(ﷺ): (ابغوني ضُعفائِكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضُعفائِكم) [٦].

المحور الثاني: من مظاهرُ تكريم اللّه للإنسانِ ورفع منزلتِه بين الخلائق

ونشير هنا إلى بعض مظاهر التكريم هذا التكريم الرباني، على النحو التالي:

أوَّلًا: أنَّ اللّهَ (تعالى) أوْجَدَ الإنسانَ مِنَ العدَمِ، وأخْرَجَهُ إلى الوُجُودِ، وجعله خليفة في الأرض

قال تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...) (البقرة: ٣٠).

ثانيًا: أنَّ اللّهَ (عزَّ وجلَّ) خلقَ الإنسانَ بيدِه؛ تكريمًا له

قال تَعَالَى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص: ٧٥).

ثالثًا: أنَّ اللّهَ (سبحانه) خلقَ الإنسانَ مِن مادَّة طيِّبَة وَهِيَ الطين، وجعل أصله واحدًا

قال تَعَالَى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ) (السجدة: ٧)، وقال: (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) (الرحمن: ١٤).

---

(٥) المصدر: الدرر السنية–الموسوعة الحديثية (بتصرف).

(٦) أخرجه الإمام الترمذي في سننه – حسن صحيح.

فمن فضل الله علينا أنَّ أصلَنا واحد، فنحن جميعًا من نَفْسٍ واحدة، إنَّنا جميعًا لآدم، وآدمُ من تراب، وهذه رسالةٌ من الله (تَعَالَى) تُذكِّرنا دومًا بأخوَّتنا ورحِمنا المشتركِ على الدوام، قال تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١)، وأنَّ دورَنا مشتركٌ في إعمار الكون والحياة، قال تَعَالَى: (...وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٥١).

رابعًا: أنَّ اللهَ (تعالى) شرَّفه بأنْ نفخَ فيه مِنْ رُوحِه

قال تَعَالَى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (ص: ٧٢). وهذا يدل على مكانة الإنسان، حيث إن الله نفخ فيه من روحه؛ ليكرمه، ويجعل له قيمة عالية بين المخلوقات، بهذا التشريف الذي لم ينله أحد من المخلوقات.

خامسًا: أنَّ اللهَ (تعالى) أمرَ ملائكتَه الكرام بالسُّجودِ لآدم، وهو أبو البشر

قال تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر: ٢٨-٢٩)، (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) (الحجر: ٣٠). أما إبليس فقد رفض السجود، وقال: (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (الأعراف: ١٢).

وهذا السجود لم يكن سجود عبادة، بل كان إظهارًا لمكانة الإنسان الذي كرّمه الله وفضّله على كثير من مخلوقاته.

سادسًا: أنَّ اللهَ (تعالى) صوَّرَهُ في أحسَنِ تقويم وأجمل منظر

قال تَعَالَى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) (التين: ٤)، وقال: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) (الانفطار: ٧). وهذا يدل على مكانة الإنسان السامقة باعتباره مخلوقًا كرّمه الله وأبدع صنعه.

سابعًا: أنَّ اللهَ (سبحانه) جعلَ منهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكرَ والأنثى

قال تَعَالَى: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا...) (النساء: ١)، وقال تَعَالَى: (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) (النجم: ٤٥).

ثامنًا: أنَّ اللهَ (عزَّ وجلَّ) تعالى ميَّزَهُ بالعقل

ومن أهم مظاهر التكريم، أن الله (سبحانه وتَعَالَى) ميَّزَ الإنسان -عن سائر المخلوقات- بالعقل؛ فبه يميز بين الخير والشر، الهدى والضلال... لقد منحَ الله (تَعَالَى) الإنسانَ هذا الجهازَ المعجز (العقل) لاستقبال أنوار الوحي الشَّريف المعصوم، وجعل التفكيرَ فريضةً إسلامية، وعلَّمَنَا السباحةَ الفكريةَ بالعقل في ملكوتِ الله شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا.. طولًا وعرضًا وعمقًا، وبشكل دائبٍ لا يَنقطع؛ للارتقاءِ به في مَراتب التفكير العليا وتَعميقِ الإيمان، حتى يظلَّ في كنفِ أنوار الله، بعيدًا عن الشَّطط أو الغلوّ أو الانحراف، وحرَّم على الإنسان أن يَعتدي على العقلِ أو تَعطيله عن عمله، وشرَّفه غايةَ التَّشريف بأن جعلَه مناطَ التكليف..

ومن رحماته -أيضًا- أنه جعلَ للعقل طاقاتٍ، ولم يحمّله ما لا طاقةَ له به، بل جعل له حدودًا يقف عندَها ولا يستطيع أن يَتجاوزَها؛ كالغيبيات التي ليس للعقل فيها إدراكٌ على التفصيل، ولا شكَّ أنَّ في هذا صيانةً للعقل البَشري من الانحراف والزَّيغ والفُرقة والضلال؛ لذلك حرَّم الله (تَعَالَى) المسْكرات والمخدّرات والمفتِّرات التي تُذهب العقل أو تُعطله عن أداء دوره.

تاسعًا: أنَّ اللهَ (تعالى) أكرمَهُ بإرسَال الرُّسُل

ومن تمام فضل الله علينا -أنه بعد أن خلقنا الله في أحسن تقويم، وشرَّفنا بالعقل والنطق والمنطق- أنه لم يخلقنا ويرزقنا ويتركنا سُدَى، نهيم على وجوهنا في البرية؛ بل رسم لنا -وهو أعلم بمَن خلق- الطريقَ الذي يضمن لنا الصلاح والفلاح والرشاد، ويقينا الهلاك والوقوع في المعاصي والذنوب، فأرسل الرسلَ الكرامَ بالرسالات المتعاقبة؛ يُبشّرون، ويُنذرون، ويُنيرون للناس سبيل الله... قال تَعَالَى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا

يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (النساء: ١٦٥)، وقال تَعَالَى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ...) (إبراهيم: ٤)، وقال: (...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا...) (الإسراء: ١٥).

وكان تمام الرسالات السماوية وكمالها في رسالة سيدنا محمد (ﷺ) الذي أرسله الله (تَعَالَى) رحمة للبشرية – في وقت بلغت فيه شأو غيّها وضلالها– برسالة عالمية خاتمة وصالحة لكل زمان ومكان، وجعل التكاليف الشرعية تقوم على المُتاح والمُباح، وعلى التيسير، ورفع المشقة والحرج، وفي مقدور المكلفين؛ لتناسب الأشخاص، والأحداث، والأحوال، والظروف، والجوائح. وما يستجد، وجعل حفظ الأبدان مقدمًا على إقامة شعائر الأديان. وهكذا فإن الله (عَزَّ وجَلَّ) لا يترك عِبَادَهُ من دون رعاية وعناية، فهو الرحمن الرحيم. فقد خلقنا وهدانا للطريق المستقيم، وأرسل إلينا الرسل، وأنزل لنا الكتب، وأرشدنا إلى ما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة.

عَاشِرًا: أنَّ اللهَ (عزَّ وجلَّ) علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها

قال تَعَالَى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ...) (البقرة: ٣١، فأثبت الله (تَعَالَى) أفضليته آدم على الملائكة بفضل العلم الذي علمه الله له.

حَادِي عَشَرَ: أنَّ اللهَ (تعالى) حمَّلَ الإنسانَ الأمانةَ

قال تَعَالَى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ) (الأحزاب: ٧٢).

ثَانِي عَشَرَ: أنَّ اللهَ الحكيم جعلَ التناسلَ والذُّرِّيَّةَ عن طريق الزَّواجِ الصَّحيح

قال تَعَالَى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١)، وقال النبي (ﷺ): (يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ...) (٧).

ثَالِثَ عَشَرَ: أنَّ اللهَ (عزَّ وجلَّ) جعلَ الإنسانَ سيِّدًا في الكونِ ولَمْ يجعلْهُ سيِّدًا على الكونِ

لقد جعل الله (جل وعلا) الإنسانَ سيِّدًا في الكون، ولم يجعله سيِّدًا على الكون –وشتَّان هنا بين حرفي الجر: (في، وعلى)–، وجعل الحبَّ ركنًا في الإيمان وشرطًا لكماله... لماذا؟ لكي يكملَ بعضُنا بعضًا، ويرحم بعضنا بعضًا، ويساعدَ بعضُنا بعضًا، ويُسعد بعضُنا بعضًا، ويحترمَ بعضُنا بعضًا، ويحافظَ بعضُنا على بعضٍ... خلقنا لنتكاملَ جميعًا، ونتكاتفَ جميعًا من أجلِ إعمار الكون، وإسعاد القلوب، وإنارة العقول والنفوس والدروب بمنهج الله (جلَّ في علاه).

رَابِعَ عَشَرَ: أنَّ اللهَ (تعالى) فتحَ للإنسانِ أبوابَ التَّوْبَةِ على مِصْرَاعَيْها، ما لم يُشرك باللهِ

يقول الله تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة: ٢٢٢). ويقول النبي (ﷺ): (كلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطائينَ التوابونَ) (٨). بل إنه حتى إذا أخطأ الإنسان ووقع في الذنوب، وتاب وآب وعاد إلى ربه الرحيم يظل عند الله غاليًا. ولعل قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا خير شاهد على رحمة الله (تَعَالَى) الواسعة التي وسعت كل شيء (٩).

---

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٨) الإمام السيوطي في الجامع الصغير – صحيح.

(٩) عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: لا أُحدِّثُكم إلَّا ما سمِعْتُ من رسولِ اللهِ (ﷺ)، سمِعَتْه أُذُناي ووَعاه قَلْبي: "إنَّ عبدًا قتَل تِسعةً وتِسعينَ نفْسًا، ثُم عرَضتْ له التَّوبةُ، فسأَل عن أعلَمِ أهلِ الأرضِ؟ فدُلَّ على رجُلٍ، فأتاه، فقال: إنِّي قتَلْتُ تِسعةً وتِسعينَ نفْسًا، فهل لي من تَوبةٍ؟ قال: بعدَ قتْلِ تِسعةٍ وتِسعينَ نفْسًا؟ قال: فانْتَضى سيْفَه فقتَله به، فأكمَل به مِئَةً، ثُم عرَضتْ له التَّوبةُ، فسأَل عن أعلَمِ أهلِ الأرضِ؟ فدُلَّ على رجُلٍ فأتاه، فقال: إنِّي قتَلْتُ مِئَةَ نفْسٍ، فهل لي من تَوبةٍ؟ فقال: ومَن يحُولُ بيْنَكَ وبيْنَ التَّوبةِ؟، اخرُجْ منَ القَريةِ الخَبيثةِ التي أنتَ فيها، إلى القَريةِ الصالحةِ قَريةِ كذا وكذا، فاعبُدْ ربَّكَ فيها، قال: فخرَج إلى القَريةِ الصالحةِ، فعرَض له أجَلُه في الطَّريقِ، قال: فاختَصَمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ، قال: فقال إبليسُ: أنا أَوْلى به، إنَّه لم يَعْصِني ساعةً قَطُّ، قال: فقالت ملائكةُ الرحمةِ: إنَّه خرَج تائبًا"، قال همَّامٌ: فحدَّثني حُمَيدٌ الطويلُ، عن بكْرِ بنِ عبدِ اللهِ المُزَنيِّ، عن أبي رافِعٍ، قال: "فبعَث اللهُ (عزَّ وجَلَّ) له ملَكًا، فاختَصَموا إليه"، ثُم رجَع إلى حديثِ قَتادةَ، قال: فقال: "انْظُروا أيَّ القَريتَيْنِ كان أقْرَبَ إليه، فأَلْحِقوه بأهلِها"، قال قَتادةُ: فحدَّثَنا الحَسَنُ، قال: "لَمَّا عرَف الموتَ احتَفَزَ بنَفْسِه، فقرَّبَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ منه القَريةَ الصالحةَ، وباعَد منه القَريةَ الخَبيثةَ، فأَلْحَقوه بأهلِ القَريةِ الصالحةِ". أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند لشعيب، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

خَامِسَ عَشَرَ: أنَّ اللّهَ (عَزَّ وجَلَّ) جعَلَ لهُ ثوابَ الحسَنة بعشرِ أمثالِها والسَّيِّئة بمثلِها

قال تَعَالَى: (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا) (الأنعام: ١٦٠).

وقال النبي (ﷺ): (إنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلكَ، فمَن هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَناتٍ، إلى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إلى أضْعافٍ كَثِيرَةٍ، ومَن هَمَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها، كَتَبَها اللَّهُ له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، فإنْ هو هَمَّ بها فَعَمِلَها، كَتَبَها اللَّهُ له سَيِّئَةً واحِدَةً) (١٠). وهكذا فمن رحمة الله (عَزَّ وجَلَّ) بنا، أنَّ الحسنة تمحو السيئة، وأن السيئة لا تمحو الحسنة، وأن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا الله، وأن السيئة بسيئة مثلها وقد يمحوها الله، بل إنَّ مَن هَمَّ بالسيئة ولم يعملها كُتبت له حسنة، كما جعل الله (عز وجل) مصادر كثيرة لتحصيل الحسنات، منها: زيارة بقاع معينة، في أوقات معينة وأحوال معينة، وزيارة شخصيات معينة... إلخ، جالبة للحسنات.

سَادِسَ عَشَرَ: أنَّ اللّهَ (تعالى) علَّمهُ البيَانَ

قال تَعَالَى: (الرَّحْمَٰنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) (الرحمن: ١-٤).

سَابِعَ عَشَرَ: أنَّهُ فتحَ لهُ أبوَابَ العِلمِ علَى مِصرَاعَيهَا، لِيُعَمِّرَ الأرضَ ويُرقِي الحيَاة

فالله (سبحانه وتَعَالَى) فتح للإنسان أبواب العلم على مدار التاريخ، ليعمر الأرض ويبني الحضارة، ويرقي الحياة؛ ليسعد الإنسان والمخلوقات بفضل الله.

ثَامِنَ عَشَرَ: أنَّ اللّه (تعالى) جعَلَ للإنسانِ حمايَةً وجعَلَ الاعتِدَاءَ علَيهِ وقَتلَهُ أعظَمَ مِن زوالِ الدنيا

قال تَعَالَى: (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة: ٣٢).

ويقول النبي (ﷺ): (لزوال الدُّنيا أهونُ عندَ اللهِ من قتلِ مؤمنٍ بغيرِ حقٍّ) (١١)

تاسِعَ عَشَرَ: أنَّ اللّه (تعالى) هدَى الإنسانَ إلى كلِّ ما يُحافِظُ علَى نفسِهِ وعَقلِهِ وحَيَاتِهِ وأمنِهِ

يقول تَعَالَى: (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَهْدِهِ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (النساء: ٦٩).

عِشرُونَ: ومن فضل اللّه (سبحانه وتعالى) أن الإنسان المؤمن عند اللّه غالٍ في كل مراحل حياته، حتى في ضعفه

حتى في لحظات الضعف والمعاناة، يظل الإنسان غاليًا عند الله. يقول النبي (ﷺ) في الحديث القدسي: (إنَّ اللَّهَ (عَزَّ وجَلَّ) يقولُ يومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أعُودُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ، وكيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: أَمَا عَلِمْتَ أنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي، يا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ، كيفَ أسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟! قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أمَا إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلكَ عِنْدِي) (١٢).

تأملوا –أيها السادة– كيف أن الله (عَزَّ وجَلَّ) يعتني بالإنسان ويقترب منه، حتى في أشد حالاته ضعفًا.

حادي وعشرون: أن اللّه (سبحانه) من محبته للإنسان فتح له بابًا للوصول إلى اللّه بالدعاء

فقد جاء رجل إلى النبي (ﷺ) وسأله: (يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟)

فنزل قول الله تَعَالَى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (البقرة: ١٨٦).

هذه القصة تؤكد أن الإنسان قريب من الله، وأن الله يسمع دعاءه ويجيب نداءه، لمكانته وقيمته عند ربه.

---

(١٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١١) أخرجه ابن الملقن في البدر المنير، وإسناده صحيح.

(١٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

ثاني وعشرون: أن اللّه (تعالى) لا يُحمِّل الإنسانَ وزر أي أحد أو ذنبه، فهداية كل شخص لنفسه، ووزره لنفسه قال تعالى: (مَّن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) (الإسراء: ١٥).

ثالث وعشرون: أن اللّه (تعالى) حرّم اليأس والقنوط، وجعل الأمل والتفاؤل يسريان في روح الشريعة وأوصالها: كل ذلك من أجل أن يعيش الإنسان مستقرًا وهادئا ومؤملا في الله على الدوام.

رابع وعشرون: أن اللّه (تعالى) إذا أحب عبدا كتب محبته وقبوله في قلوب العالمين

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فأَحِبَّهُ، فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ويُوضَعُ له القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ) (١٣).

وهكذا لما كان الإنسانَ غاليا عِندَ ربِّه أبقاهُ في هذه الحياة إلى قيام الساعة.

المحور الثالث: مظاهر تسخير اللّه مخلوقاته لخدمة الإنسان

ومن جليل فضله على الإنسان، ومحبته له أنه (جل وعلا) ذلَّل له الأرض، والسماء، والبحار، والأنهار والمحيطات والبحيرات، والقمر، والنجوم، والكواكب، والجبال، والسحاب، والرياح، والأشجار، والنباتات، والحيوانات، وحتى الجمادات... وسخَّر له أيضًا كثيرًا من مخلوقاته التي نعلمها وتلك التي لا نعلمها... التي نراها وتلك التي لا نراها، قال تَعَالَى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٨)؛ حتى يتمكن من تحقيق الغاية من وجوده في هذه الحياة، وهي: (عبادة الرحمن، وعمارة الأكوان، ورعاية الإنسان).

ونشير هنا باختصار إلى بعض مظاهر تسخير الله (تَعَالَى) الكون ومخلوقاته لخدمة الإنسان، ومنها:

أولاً: مظاهر تسخير اللّه (سبحانه وتعالى) الأرض للإنسان

١. **الاستقرار والمعيشة**: فالله جعل الأرض مستقرة ومهيأة للحياة، قال تَعَالَى: (أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا) (النبأ: ٦).

٢. **الزراعة والإنتاج**: فقد هيأ الله (تَعَالَى) التربةَ الخصبة والمياه العذبة لنمو النباتات، باعتبارها مصدر الغذاء الرئيس للإنسان والحيوان.

٣. **الموارد الطبيعية**: أودع الله في الأرض المعادن والثروات التي يستخدمها الإنسان في الزراعة والصناعة والبناء والفضاء... إلخ.

٤. **التنوع البيئي**: وتنوع التضاريس كالجبال والسهول والصحاري، حتى يلبي مختلف احتياجات الإنسان.

ثانيا: مظاهر تسخير اللّه (سبحانه وتعالى) السماء للإنسان

١. **الحماية**: حيث جعل السماء سقفًا محفوظًا يحمي الأرض من الأشعة الضارة والشهب، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا) (الأنبياء: ٣٢).

٢. **نزول المطر ودورة المياه**: فالسماء مصدر المطر الذي يروي الأرض، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (الفرقان: ٤٨).

٣. **تنظيم الزمن**: فحركة الشمس والقمر في السماء تساعد الإنسان على حساب الأيام والشهور.

٤. **الزينة والهداية**: النجوم والكواكب زينة وهداية للمسافرين، كما قال: (وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) (النحل: ١٦).

---

(١٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

ثالثا: مظاهر تسخير الله (سبحانه وتعالى) الشمس للإنسان

١. **مصدر الضوء والحرارة**: الشمس هي المصدر الأساسي للنور والدفء على الأرض، ولولا الشمس التي خلقها الله لما كانت الحياة ممكنة على الأرض. قال الله تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا) (النبأ: ١٣). وقال: (وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ) (إبراهيم: ٣٣).

٢. **تساعد في نمو النباتات**: فالطاقة الشمسية ضرورية لعملية البناء الضوئي التي تنتج الغذاء والأكسجين للنباتات والكائنات الحية.

٣. **تنظيم الزمن**: فحركة الشمس اليومية تساعد الإنسان في تحديد النهار والليل وتنظيم وقته، كما قال تَعَالَى: (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ آيَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا) (الإسراء: ١٢).

٤. **توفير الطاقة**: الشمس مصدر طبيعي للطاقة المتجددة التي يمكن استخدامها في توليد الكهرباء وتحلية المياه وغيرها من أنشطة الحياة.

٥. **دورها الأساس في الدورة المائية**: تسهم الشمس في تبخير المياه، مما يؤدي إلى تكوّن السحب وهطول الأمطار.

٦. **الحماية من البرودة الشديدة**: تسهم حرارة الشمس في إبقاء درجات الحرارة على الأرض في مستويات مناسبة وملائمة للحياة.

رابعا: مظاهر تسخير الله (سبحانه وتعالى) القمر للإنسان

١. **إنارة الليل**: القمر ينير السماء ليلاً بضوئه العاكس من الشمس، مما يوفر إضاءة ليلية هادئة ومفيدة.

٢. **تنظيم الأشهر**: يُستخدم في تحديد الأشهر القمرية، التي يعتمد عليها التقويم الإسلامي، قال الله تَعَالَى: (هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ...) (يونس: ٥).

٣. **المد والجزر**: الجاذبية بين القمر والأرض تؤدي إلى ظاهرة المد والجزر، التي تساعد في تنظيف الشواطئ وتجديد مياه البحار والمحيطات.

٤. **دوره في الاستقرار الأرضي**: القمر يساعد في تثبيت ميل محور الأرض، مما يحافظ على استقرار الفصول وتوازن المناخ.

خامسا: مظاهر تسخير الله (سبحانه وتعالى) النجوم للإنسان

١. **تحديد الاتجاهات**: استخدم الإنسان النجوم في تنظيم الملاحة وتحديد الاتجاهات...إلخ.

٢. **التقويم الزمني**: تعتمد بعض الشعوب على النجوم لتنظيم مواعيد الزراعة وغيرها.

٣. **الملاحة الفلكية**: كان البحارة يستخدمون النجوم لتوجيه سفنهم في البحر.

٤. **العلوم والفلك**: دراسة النجوم تساعد في فهم الكون وتفسير عدد من الظواهر.

٥. **التنبؤ بالظواهر الطبيعية**: بعض الثقافات ربطت ظهور النجوم بتغيرات مناخية.

٦. **المجال العسكري**: تُستخدم النجوم لتحديد المواقع في العمليات العسكرية.

سادسا: مظاهر تسخير الله (سبحانه وتعالى) الجبال للإنسان

١. **التثبيت**: فالجبال أوتاد تثبت الأرض، كما قال: (وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ) (الأنبياء: ٣١)، وقال تعالى: (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) (النبأ: ٧)، أي رواسي للأرض.

٢. **تخزين المياه**: تشكل خزانات طبيعية للمياه.

٣. **الموارد المعدنية**: تحتوي الجبال على معادن ثمينة يستخدمها الإنسان في أنشطة الحياة.

٤. **الحماية**: تشكل الجبال حواجز طبيعية تحمي من الرياح والعواصف.

سابعا: مظاهر تسخير الله (سبحانه وتعالى) البحار والمحيطات للإنسان

١. **الرزق**: تشكل البحار والمحيطات مصدرًا غنيا بالأسماك والكائنات البحرية، قال تعالى:

(هُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا...) (النحل: ١٤) [١٤].

٢. **التجارة والنقل**: استخدم الإنسان البحار والمحيطات كوسيلة للتنقل ونقل البضائع.

٣. **تنظيم المناخ**: تؤدي البحار والمحيطات دورًا مهمًا في توازن درجات الحرارة وتنظيم المناخ في العالم.

٤. **المعادن والطاقة**: أودع الله (تَعَالَى) فيها النفط والغاز وغيرهما من الثروات ومصادر الطاقة التي يستخدمها الإنسان.

٥. **كابلات الإنترنت**: استطاع الإنسان في العصر الحديث أن يصل إلى أعماق البحار والمحيطات، وثبت في أعماقها كابلات شبكة الإنترنت المنتشرة في كل أنحاء العالم.

ثامنًا: مظاهر تسخير اللّه (سبحانه وتعالى) الغلاف الجوي للإنسان

١. **التنفس والحياة**: يوفر الأكسجين اللازم للتنفس وثاني أكسيد الكربون للنباتات.

٢. **الحماية**: يحمي الغلاف الجوي الأرض من الأشعة الضارة والشهب.

٣. **الرياح**: تُستخدم الرياح في: تلقيح النباتات قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيٰحَ لَوَٰقِحَ) (الحجر: ٢٢)، وتحريك السفن الشراعية، قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الروم: ٤٦)، وتلطيف الجو.

٤. **تنظيم الحرارة**: حيث يساعد الغلاف الجوي في توزيع الحرارة على سطح الأرض بشكل مناسب.

تاسعا: مظاهر تسخير اللّه (سبحانه) الأشجار لخدمة الإنسان:

١. **المأوى والحماية**: توفر الأشجار الظل والمأوى من حرارة الشمس والعوامل الجوية.

٢. **المواد الأساسية**: يستخدم أخشاب الأشجار في بناء المنازل، الأثاث، والصناعة.

٣. **الغذاء**: تعد أشجار الفواكه والمزروعات المتنوعة مصدرًا مهما للغذاء.

٤. **الهواء النقي**: تساعد الأشجار في تنقية الهواء بامتصاص ثاني أكسيد الكربون وإنتاج الأكسجين.

٥. **الطب والعلاج**: تُستخدم بعض أجزاء الأشجار في الطب التقليدي والعلاج بالأعشاب.

٦. **الزراعة والحفاظ على التربة**: تساعد الأشجار في حماية التربة من التعرية وتحسين خصوبتها.

٧. **التجميل والزينة**: تستخدم الأشجار في تنسيق الحدائق والزراعة التجميلية، كما تسهم في توفير الموارد الطبيعية وتحسين جودة الحياة بشكل عام.

عاشرًا: مظاهر تسخير المعادن في باطن الأرض لخدمة الإنسان

١. **الصناعة**: تُستخدم المعادن مثل الحديد والنحاس والألومنيوم في صناعة الآلات، السيارات، والبنية التحتية.

٢. **الطاقة**: الفحم والنفط والغاز الطبيعي مصدر رئيس للطاقة في توليد الكهرباء وتشغيل المصانع.

٣. **التكنولوجيا**: تُستخدم معادن مثل السيليكون والليثيوم في صناعة الأجهزة الإلكترونية مثل الهواتف والبطاريات.

٤. **البناء**: تُستخدم المعادن مثل الجبس والرخام في البناء والتشييد.

٥. **الزراعة**: بعض المعادن مثل الفوسفات تُستخدم في الأسمدة لتخصيب التربة وتحسين الإنتاج الزراعي.

---

(١٤) في ظل محدودية المياه العذبة في المنطقة العربية وتلوثها وسوء إدارتها، وفي ظل مشكلة عدم مواكبة المساحة الزراعية لعدد السكان المتزايد يوما بعد يوم، وفي ظل افتقار ملايين البشر في الدول النامية إلى الوجبات الكافية والملائمة، ويعانون من سوء التغذية..

في هذه الظلال ندعو وبشدة إلى الاتجاه إلى البحار والمحيطات للحصول على الغذاء وتعظيم الاستفادة من خيرات الله فيها

٠إن الرقعة الزراعية ومساحات المراعي في العالم التي يتم الاعتداء عليها كل يوم لن تستطيع –في ظل التعدي عليها– أن تفي بحاجات هذا الازدحام الرهيب من الأفواه المطالبة بالغذاء، والمتزايدة كالطوفان عامًا بعد عام، وليس أمامنا إلا البحار والمحيطات والخلجان نأخذ منها..

فرياح الأمل تهب منها، ذلك أن البحر مخزن عظيم لأنواع الطعام المختلفة.. فعلى الرغم من أن الدراسات الحديثة أثبتت أن البحر في حالته الطبيعية ينتج –في كل جزئية منه– بقدر ما تنتج اليابسة من الغذاء للبشر، فإن الإنسان لا يأخذ من مصادر المياه المالحة سوى ١٪ تقريبًا من حاجاته الغذائية..

ومن ثم فلابد أن نوجه طاقاتنا وإمكاناتنا إلى البحر، ونعامله بالأساليب الحديثة كمزرعة عظيمة تعطى الأمل الكبير في انفراج أزمة الغذاء، وتسعد ملايين الجوعى والمحرومين في كل مكان. راجع: د/ أحمد علي سليمان: منهج الإسلام في مواجهة مشكلات المياه، الرباط: نشر المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، ٢٠١٠م.

٦. **الاقتصاد**: تسخير هذه المعادن يعزز الاقتصاد ويُسهم في تطور الحياة اليومية والتكنولوجيا.
٧. **الدواء**: تعد بعض المعادن الطبيعية مهمة لصحة الانسان مثل الحديد والكالسيوم والماغنسيوم.

حادي عشر: مظاهر تسخير الله (تعالى) المخلوقات التي لا نراها (الكائنات الدقيقة) لخدمة الإنسان

١. **الميكروبات المفيدة**: مثل البكتيريا المفيدة في الأمعاء التي تساعد في هضم الطعام وتعزيز المناعة.
٢. **اللقاحات والأدوية**: بعض الميكروبات والفطريات تُستخدم لإنتاج الأدوية والعقاقير مثل المضادات الحيوية.
٣. **التحلل البيولوجي**: الميكروبات والفطريات تساعد في تحلل المواد العضوية وإعادة تدوير العناصر الغذائية في الطبيعة، وتخصيب التربة الزراعية.
٤. **التكنولوجيا الحيوية**: تُستخدم الميكروبات في إنتاج إنزيمات ومواد كيميائية وحيوية تُستخدم في الصناعات الغذائية والصيدلانية.
٥. **الطاقة**: بعض الكائنات الدقيقة مثل الطحالب تُستخدم في إنتاج الوقود الحيوي.
٦. **المجالات الحيوية**: كما تسهم الكائنات الدقيقة في عدد من المجالات الحيوية مثل الصحة، البيئة، والصناعة [١٥].

(وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ) (النحل: ١٨)

أيها الإخوة، أنتم غالون عند الله، ولكم مكانة كبيرة عنده، فحافظوا على هذه المكانة العظيمة بالطاعة والعبادة. ابتعدوا عن المعاصي والذنوب التي تُنقص من هذه الكرامة. نسأل الله أن يجعلنا من عباده الصالحين، وأن يرفع شأننا في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه. هذا وصلوا وسلموا على خير البرية، سيدنا محمد، كما أمركم ربكم فقال: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦)

عباد الله: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى (ﷺ)، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله... يقول الحق تبارك وتعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢). **أما بعد،،**

أيها المؤمنون: اعلموا جيدا أن الله (تعالى) يحبُّ عبادَه ويريد لهم الخير على الدوام، وأن الإنسان مكرّم عند الله في كل أحواله ما دام يحرص على التقوى والعمل الصالح، فلا يستهين أحد بنفسه، ولا يُقلّل من شأنه.

لقد كرّمنا بالعقل الذي يميزنا عن سائر المخلوقات، وكرّمنا بأن جعلنا خلفاء في الأرض، وكرّمنا بأن سخّر لنا الكون ومَن فيه، وما فيه، وكرّمنا أعظم تكريم بأن نفخ فينا من روحه...

فعلينا أن نخلص لله، وأن نتقي الله، وأن نستثمر وجودنا في هذه الحياة، لنبقى أثرًا طيبا مباركًا يرضي الله، وعلينا أن نسرع في التوبة والأوبة إلى الله، وعلينا أن نحب الله ونحب لقاء الله ونستعد لذلك على الدوام، فمَن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، وعلينا أن نذكر الله تعالى على الدَّوام، والدعاءُ، وأن نتعلَّق بحبال الله تَعَالَى، أن نَحفظَ الله في كلّ أمورنا؛ حتى يحفظَنا الله، ودَيمومةُ شُكر الله تَعَالَى، قال تَعَالَى: (...وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ...) (البقرة: ١٥٢)، فبالشُّكر تَدوم النِّعم. فعَلينا أنْ نشكرَ الله (تَعَالَى) في السَّراءِ والضَّراء، وعند الرخاء، وأن نُظهِر آثارَ نِعم الله (تَعَالَى) علينا، حتى يرى ربُّنا (جلَّ وعلا) أثرَ نعَمِه علينا.

(١٥) تم الاستعانة بـ (AI) في دراسة مظاهر تسخير الله الكون للإنسان، مع المراجعة والتحرير والتدقيق، والمناقشة مع الخبراء والعلماء المتخصصين.

أيها الإنسان الغالي المُكرَّم من اللّه... احذر وانتبه:

١. الإنسانُ الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يعتد إلا على الله، ولا يتوكل إلا عليه
٢. الإنسانُ الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يُضيّع فروض الله
٣. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يقترف الكبائر والذنوب التي حرَّمها الله
٤. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يغفل عن ذكر الله ولا يغفل عن الصلاة
٥. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يغفل عن الصلاة على سيدنا رسول الله
٦. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يقتل، ولا يدمر بنيان الله
٧. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يزني
٨. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يسرق
٩. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يشهد زورًا
١٠. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يختلس
١١. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يأخذ رِشوة
١٢. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا ينهب
١٣. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يحتال على الناس ولا يَتغالَب عليهم بالمكر والخديعَة والفتن والنوايا الخبيثة
١٤. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يهين خلق الله
١٥. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يكسر خواطر الناس والمخلوقات
١٦. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يأكل المال العام
١٧. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يعطل مصالح الناس
١٨. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يأكل ميراث إخوته
١٩. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يأكل مال اليتيم
٢٠. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يكسب ماله إلا من الحلال، ولا يُنفقه إلا في الحلال
٢١. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يحتكر أقوات الناس
٢٢. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يغش الناس
٢٣. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يكذب
٢٤. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يغتاب
٢٥. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يُداهن
٢٦. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يُرائي
٢٧. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يبخل بماله أو خبراته على خلق الله
٢٨. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يلعن خلق الله
٢٩. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يشتم الناس
٣٠. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يُؤذي جاره
٣١. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يقسوا على مَن ولاه الله أمرهم
٣٢. الإنسان الغالي الذي كرَّمَه اللهُ، لا يُؤذي الأحياء ولا الأموات.

بل هو المؤمن الغالي الرحيم الحيي المعطاء الذي تَسْري في أوصاله شَرايينُ الإخلاص والحب والأخوَّة، ودماءُ الصدق، والنُّبل، والعفاف، وتحرّي الحلال ورضا الله على الدوام.

ونداءي هنا لكل المسلمين حول العالم:

أبشر أخي المسلم، وأبشري أختي المسلمة، فإن اللّه (تعالى)، يحبكم، وهو معكم أينما كنتم، فقد سخر لكم ما في الكون؛ لتنعموا بخيرات اللّه فيه، فلا تفتحوا للشيطان بابا ليضلكم عن سبيل اللّه، وتضاءلوا بالخير تجدوه، وتذكروا دائمًا، قوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (البقرة: ١٤٣).

وعليكم أيها المسلمون **أن تجيدوا مهاراتِ المحاسبة**، ولا أعني هنا المحاسبةَ التِّجارية فلَها أهلُها، ولكن أعني هنا أن يحاسبَ الإنسانُ نفسَه على الدوام(١٦)، فالدنيا ستَفنى، وكلنا سنَموت، والأعمالُ بخَواتيمها، وأنه يجب أن نحاسبَ أنفسَنا أولًا بأوَّل قبل أنْ نُحاسب في الآخرة.

واعْلموا أيها السيداتُ والسادة أنَّ الدنيا ساعة، ومن ثَمَّ يجب أن نَجعلها طاعةً خالصةً لله، وأن النَّفس طماعة، علينا أن نُعَوِّدها القناعة؛ حتى نفوز برضا الله...

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنّا سيئها لا يصرف سيئها إلاّ أنت، اللهم فقّهنا في ديننا، وبصّرنا بعيوبنا، وارزقنا الثبات واليقين، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا مِن بين أيدينا ومِن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومِن فوقنا ونعوذ بعظمتك أنْ نُغتال مِن تحتنا، اللهم أصلحنا، وأصلح لنا، وأصلح بنا، وأصلح مَن حولنا، اللهم اهدنا سُبُل السلام، وأخرجنا مِن الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا. وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وأقم الصلاة.

الدكتور/ أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر
واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني:
drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة صفحة الفيس بوك، وعنوانها: (د. أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد

https: //www.facebook.com/profile.php?id=١٠٠٠٠٧٤٠٨٨٧٧٥٨

(١٦) راجع د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة: دار إشراقة، ٢٠٢٤م، ص ١٨٦.